بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس

كورس الكنيسة في الثلاث قرون الأولى

المحاضرة الثالثة

الخريستولوجي (في الثلاث قرون الأولى) – أبونا أنطونيوس فهمي

ماهي طبيعة المسيح في الثلاث قرون الاولى؟

أي قبل عصر المجامع قبل مجمع نيقية ٣٢٥م.

في الحقيقة هناك لون من ألوان الاتهام للمسيحية جاء هذا الاتهام عن طريق:

١. بولس الرسول وقيل عنه أنه من وضع علامات المسيحية.

٢. القديس اثناسيوس هو من وضع علامات العقيدة المسيحية.

وكأن العقيدة قبل اثناسيوس لم تكن موجودة، وكأن الحياة المسيحية قبل بولس لم تكن موجودة.

وهذا غير صحيح ولا يمكن القول إن الإيمان المسيحي في الثلاث قرون الاولى كان غير موجود أو كان مختلف عن ما قاله القديسين الذين جاءوا بعدهم ولكن التحديات التي واجهت هؤلاء الآباء كانت أصعب ومن هنا ظهروا الآباء المدافعون عن ذلك الإيمان، وكلنا نعلم أن ما يقرأ في تذكارات نياحة البطاركة وخصوصاً بطاركة الإسكندرية في (متى١٦: ١٣– ١٥).

كان سؤال المسيح ليسمع إجابتهم ليعرف انطباعات الناس عنه وكانت كلها اجابات مستبعدة عن المسيح وأنهم لا يعرفونه، وحينما سأل التلاميذ أنتم ماذا تقولون عني "فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيّ»" (مت١٦: ١٦)، بطرس أجاب بهذا الكلام الذي كان يريد أن يسمعه المسيح واسعد به وهو أجاب مبكراً عن الميعاد وطوبه في (مت ١٦: ١٧).

لأن الاعلانات عن الوهية السيد المسيح كانت غير واضحة لذلك كانت الاستنتاجات كثيرة حول شخصه ولكن بالمعجزات والآيات والتعاليم والصلب والموت والقيامة والصعود أعطاهم كل ما يدفعهم أنه المسيح

ابن الله الحي، سيظل لاهوت السيد المسيح هو حجر الزاوية في إيماننا المسيحي، لو لم تعرف انت من هو المسيح!!! إذن مسيحيتك بها خلل.

وبسبب من هو المسيح كانت مسار بدع وهرطقات لذلك الى هذا اليوم ... تجاهد الكنيسة للحفاظ على من هو المسيح (الصخرة –الايمان) وهذا كلف الكنيسة عبر العصور شهداء وابرار ونساك دفعوا في جهادهم دم ثمين، لذلك تعرضت المسيحية ويسوع المسيح لهجوم كبير فلا يوجد شخص تمت محاسبته ومهاجمته كشخص يسوع المسيح لأن المسيح شخص غير عادي شخص محوري شخص فوق الزمن لا يقبل إلا بالإيمان ولا يفهم إلا بالعقل.

وهناك أشخاص تعتبر إيماننا بلاهوت السيد المسيح استحدثه اثناسيوس (لا طبعا)، اثناسيوس لم يستحدثه ولكن دافع عنه وأوضحه.

ايضا في الثلاث قرون الأولى.. هناك قديسين مدافعين قبل اثناسيوس.. هناك أيضا من هاجموا وكانوا ضد المسيح قبل أريوس

+ أيضا حينما دافع اثناسيوس عن لاهوت السيد المسيح من خلال الإيمان الذي استلمه من الآباء الذين سبقوه، إذ كان هذا الإيمان راسخ وثابت ومستقيم من العصر الرسولي الاول وبلا شك أن دفاع اثناسيوس لما يملكه من مواهب الروح القدس والحكمة والتقوى كان الأقوى وكان موضح لأمور لاهوتية كثيرة.

ولكن... لا نقر أن الإيمان لم يكن معروف وان اثناسيوس هو الذي استحدثه لأن الإيمان موجود من العصر الرسولي فهو بداية ولادة المسيحية.

وايضا آخرون سبقوا أريوس في التشكيك بطبيعة السيد المسيح وازليته واقنوميته مثل مارتيون وبولس الساموساطي – Paul of samosata

ولولا أن اثناسيوس تزامن مع عصر الملك قسطنطين لما حدث الهجوم الشديد على المسيحية حينما أصدر الملك منشور ميلان ٣١٣م منشور التسامح الديني، فهاج عدو الخير على المسيحية وعلى قسطنطين الذي أعطى الحرية لاعتناق الديانة المسيحية وحتى أن الامبراطور قسطنطين نفسه أصبح مسيحيا وذلك فتح المجال للمسيحية بأنها بدأت في المواجهة بين الكنيسة والايمان والهراطقة الذين هاجموا شخص ربنا يسوع المسيح حيث ظهر في اولهم وبشكل واضح أريوس وذلك بسبب عدة عوامل مثل أن أريوس كان شاعر وكان قس وعنده فلسفة ومنطق فهاجم الكنيسة وهي في منطلق الانتشار

وبناء الكنائس بعد ما كانت الصلاة تتم في سراديب لأنها كانت تأخذ شكل الديانة الرسمية وابتدئ عدو الخير يحارب المسيحية من الداخل بأريوس الهرطوقي.

وتزامن قسطنطين ومنشور ميلان واريوس الهرطوقي وجود اثناسيوس الرسول للدفاع عن الإيمان وهذا لا يعني عدم وجود المسيحية قبل ذلك ولكن حينما صارت المواجهة بينهم اخذت شكل مسكوني لأن المسيحية أصبحت ديانة رسمية وأصبح هناك كراسي رسولية.

وهنا نسأل هل لم يكن هناك ايمان للكنيسة في الثلاث قرون الأولى هل لم يكن هناك ايمان بالثالوث واللاهوت والأزلية ومساواة الاقانيم الثلاثة وإيمان بانبثاق الروح القدس وولادة الابن من الآب وازلية الابن مع الآب؟ لا طبعا كان موجود لذلك نركز على شهادة آباء الكنيسة وخصوصا آباء ما قبل نيقية عن لاهوت السيد المسيح وذلك يفضح أعمال عدو الخير ضد الكنيسة وهنا يمكننا القول إن في عصر بولس تمت صياغات لما هو معروف سابقا صياغة وليست لأمور عقائدية جديدة.

ولذلك أقوال الآباء هي مرجعية لإيمان الكنيسة فمن كان في الكنيسة في أيام نيقية هو الحفاظ على ما تسلموه من الرسل ومن الآباء ولم يستحدثوا شيئا، وأي بدعة مستحدثة ...يتم الرد عليها من كتابات وأصول الآباء.

<u>وهنا عند إثبات حقائق لاهوتية عقائدية موجودة من قبل نيقية فيتم تصنيف الآباء:</u>

تصنيف آباء ما قبل نيقية:

أولاً: الآباء الرسوليين:

١. اكلمينضس الروماني.

٢. اغناطيوس الانطاكي.

٣. القديس بوليكاربوس أسقف ازمير.

٤. بانياس: من فيريجيا ١٣٠م.

٥. برنابا ١٠٠م.

٦. الديداخي تعاليم الرب للأمم بواسطة الرسل الأثنى عشر.

٧. هرماس القرن الثاني.

(كل هؤلاء كانوا قبل نيقية واثناسيوس فماذا كانوا يقولوا عن المسيحية والمسيح.. كانوا يتكلموا عن الابن المستوى للأب ويسوع المسيح المصلوب الذي اقامنا معه واجلسنا معه في السماوات وعن الروح القدس وعطاياه وعن التجسد والخلاص)

ثانياً: المدافعين:

١. كوادرانوس سنة ١٢٤ م الرسالة إلى ديوجينتس.
٢. ارستيدس من اثينا١٢٥م.
٣. ارستو من بيلا١٤٠م.
٤. القديس يوستنيوس الشهيد ١٦٥م.
٥. ناتيان السوري حوالي١٧٢م.
٦. ابوليناريوس من هيرابوليس١٧٢م.
٧. اثيناغوراس١٧٧م.
٨. ثاؤفيليس الانطاكي حوالي١٨٠م.
٩. ميليتو أسقف ساردس ١٩٠م.
١٠. ملتيادس ١٩٢م.
١١. ميتوكيوس فيلكس حوالي سنة ٢٠٠م.
١٢. هرمباس الفيلسوف ٢٠٠م.

ثالثاً: عمداء مدرسة الإسكندرية ما قبل نيقية:

١. اثيناغوراس الفيلسوف.
٢. بنتينوس القديس العلامة.
٣. اكلمينضس السكندري القديس.
٤. اريجانوس العلامة.
٥. هيراقلاس أو ياروكلاس البابا الثالث عشر.
٦. ديونيسيوس البابا الرابع عشر.
٧. ثيؤغننستس الكاهن.

٨. بيريوس القديس.

٩. البابا بطرس الاول البابا السابع عشر خاتم الشهداء.

١٠. الكسندروس الاول البابا التاسع عشر.

١١. القديس اثناسيوس الرسولي البابا العشرون.

١٢. سيرابيون أسقف تيمي أو طمويس القديس.

١٣. ديديموس الضرير.

كانوا مدافعين لاهوتيين قديسين لديهم فكر لاهوتي عقيدي اصيل.

رابعاً: آباء الرهبنة وكتابتها ما قبل نيقية:

١. القديس العظيم انبا انطونيوس ابو الرهبنة ولد حوالي ٢٥١م – ٣٥٦م.

٢. القديس آمون من آباء الرهبنة ٢٧٥م.

٣. القديس باخوميوس اب الشركة ولد حوالي ٢٩٠م – ٣٤٦م.

٤. القديس تادرس ولد حوالي ٣٢٣ م – ٣٦٨م.

الرهبنة غير منفصلة عن العقيدة أو اللاهوت ففكرة الإيمان بلاهوت المسيح هي التي تؤمن فكر وتقوى الشخص وغير ذلك سيكون للإنسان ميول جسدية كثيرة.

+ تعتبر الكنيسة اقوال وكتابات الآباء وسيرهم من العناصر الأساسية في التقليد الكنسي الذي من خلاله يصل إلينا الإيمان .. الإيمان الذي قال عنه معلمنا يهوذا في رسالته الإيمان المسلم مرة للقديسين.

+ الكنيسة تعتبر الآباء هم الشهود الامناء للفهم الصحيح للإيمان والمعايشة الحقيقية لبشارة الخلاص المعلنة في الكتاب المقدس كما سلمها ربنا يسوع المسيح لرسله وتلاميذه القديسين.

+يقول القديس اثناسيوس الرسولي إني سلمت ما قد تسلمت بدون ابتداع اي شيء خارجا عنه فما تعلمته فذلك قد رسمته مطابقا للكتب المقدسة.

+ ما سلمه اباؤنا هو عقيدة حقيقية وهذه هي سمة المعلمين اللاهوتين أن يعترفوا بنفس الايمان كل واحد مع الآخر وأن لا يختلفوا لا عن بعضهم ولا عن آبائهم.

أشهر مصادر أقوال الآباء:

١. الكتابات اليونانية:

وتعرف باسم partologia graeca PG وعدد مجلداتها ١٦١مجلدا كبيرا مع ملاحظة أن كل كتابات آباء كنيسة الإسكندرية والكتابات الرهبانية تقع في هذا القسم حيث إنهم كتبوا باليونانية.

٢. الكتابات اللاتينية وتعرف باسم – Partologia Latina PL:

وعدد مجلداتها ١٢١مجلدا كبيرا+ اللغة الإنجليزية.

أشهر المصادر باللغة الإنجليزية هي آباء ما قبل نيقية وآباء ما بعد نيقية وقد صدرت في إدنبرة بإسكتلندا وتقع هذه المجموعة في ٣٨٠ مجلدا مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

- قسم آباء ما قبل نيقية ANTE-NICENE FATHER ANF وعدد مجلداته ١٠مجلدات.
- قسم آباء نيقية وما بعد نيقية المجموعة الأولى NPNF Nicene& PostNicene Fathers.
- واحتوى على ١٤مجلدا وهي كتابات القديس اغسطنيوس ٨مجلدات والقديس يوحنا ذهبي الفم ٦مجلدات.
- قسم آباء نيقية وما بعد نيقية المجموعة الثانية ويحتوي على ١٤مجلدا لباقي الآباء.

**خريستولوجي المسيح عند آباء ما قبل نيقية:

الابن هو اقنوم متمايز عن اقنوم الآب ولكن مولود منه قبل كل الدهور ومساو له في الجوهر.

١. ولادة الابن الأزلية من الآب.

٢. لاهوت السيد المسيح الابن المتجسد.

أولاً: ولادة الابن الأزلية من الآب: (ابن الله الوحيد المولود من الاب)

استخدم الكتاب المقدس كلمة الاب للتعبير عن الاقنوم الاول في الثالوث وكلمة الابن للتعبير عن الاقنوم الثاني (للتوضيح) كما استخدم كلمة ولادة للتعبير عن العلاقة بين الآب والابن وهذه التعبيرات لا تؤخذ بمفاهميها البشرية المادية ولكن الكتاب المقدس استخدمها (وليس نحن) لأن التعبيرات البشرية تعجز للتعبير عن الله لذلك هذه الكلمات اقرب الكلمات في اللغة البشرية للتعبير عن علاقة الابن بالآب.

أقرب كلمة تعبر عن الاقنوم الاول من حيث كونه المصدر والينبوع للأقنومين الآخرين هي كلمة الآب وأقرب كلمة تعبر عن الاقنوم الثاني كأقنوم يولد ويخرج من الأب هي كلمة الابن.

الآب هو المصدر الينبوع والابن يولد منه من طبيعته وجوهره ومساويا له في الأزلية والأبدية ولكن دون أن ينفصل عنه فهو يولد منه وفيه تماما كما يولد الفكر من العقل والفكر لا يترك العقل ولا ينفصل عنه بل يظل ساكنا فيه مهما أعلن أو انتشر بين الأخريين.

- ⇦ ولادة الابن أي خروجه من الآب هي ولادة فريدة من نوعها فلا نستطيع أن نصفها بالمخلوقات لأن المخلوق لا يقدر أن يصف الخالق وغير المدرك بأمور مدركه لذلك يطلق على الابن تعبير المونوجنييس أي الابن الوحيد الجنس.
- ⇦ هو الوحيد المولود من الآب بحسب الطبيعة أي من نفس طبيعة الآب اما ولادتنا نحن المؤمنين من الآب فهي بالتبني بحسب محبة الله وليست بالطبيعة.
- ⇦ ولادة الابن من الآب بطريقة غير مدركة لا بالقطع ولا بالانقسام ولكن بطريقة غير مدركة لا ينطق بها بحسب كلمات اشعياء النبي في جيله من يخبر به "وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟" (إش٥٣: ٨).

فولادة الابن ولادة لا تستطيع أن تفحصها لأنها ليست من طبيعة مخلوقة.

- ⇦ القديس ايريناؤس في القرن الثاني يقول (أي من يسألنا عن ولادة الابن من الآب نجيبه أنه لا أحد يدرك هذا الخروج أو هذه الولادة لأنها في الحقيقة بالإجمال غير قابلة للوصف).
- ⇦ قبل كل الدهور.

هي ولادة أزلية قبل كل الدهور كما في سفر ميخا "مَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ" (مي٥: ٢).

لم يوجد وقت لم يوجد فيه ابن فلا يمكن أن يدعى الآب أباً الا لو يكن له ابن وإذ لم يكن الابن موجودا منذ الأزل يكون الاب قد تغير والله لم يتغير، وإن كان الابن الكلمة كيف نتصور وجود زمن كان الآب بدون كلمة أو حكمة أو عقل حاشا أن يكون الأمر هكذا، فهي ولادة قبل كل الظهور وفوق الزمن ولادة دائمة أي أنها لم تحدث في فترة من الزمن ثم انتهت بعد ذلك فهي ولادة دائمة مثل ولادة الفكر من العقل فهو يولد على الدوام وبلا انقطاع ومثل ولادة الضوء من الشمس فهي ولادة فريدة لا يحدها لغة بشرية ولكن بحسب اجتهاد اللغة البشرية نعبر بها عن أمور لا يعبر عنها.

⇦ اقنوم الاب هو الأصل والينبوع في الثالوث يولد منه الابن قبل كل الدهور وينبثق منه الروح القدس قبل كل الدهور فخروج الابن من الآب يستخدم معه كلمة ولادة وخروج الروح القدس من الآب يستخدم معه كلمة انبثاق

⇦ لذلك نقول نور من نور الابن يحمل نفس طبيعته وجوهره كما قال معلمنا بولس "الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ" (عب١: ٣).

****ملاحظة هامة:**

ان كانت التشبيهات تقرب لنا الحقائق الخاصة بالله إلا أنها لا يمكن أن تعبر تعبيرا كاملا عن هذه الحقائق كما أنه يمكن أن يستخدم أكثر من تشبيه واحد لنفس الحقيقة على أن يقرب كل تشبيه جانب واحد فقط من جوانب هذه الحقيقة وإن كان يختلف عنها في جوانب أخرى،

فمثلا الابن ينفصل عن الآب فهو لا ينفصل عنه.. والشعاع ينفصل عن الشمس وليس شعاع الشمس هو قرص الشمس فهي تشبيهات.

+ مولود غير مخلوق

الولادة لا تعني خلق من العدم بل خروج أزلي من الآب وكل الكائنات هي مخلوقة ولكن الابن مولود لأنه كلمة مخلوق تدل على أنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد، لا أحد يعرف الآب الا الابن ومن أراد الابن ان يعلن له، مساو للآب في الجوهر جاء هذا التعبير في اللغة اليونانية (هومو أوسيون) بمعنى من نفس جوهر الآب، أما أريوس فاقترح لقب بديل (هومي أوسيون) بمعنى مشابه للآب في الجوهر وهو ما رفضه القديس اثناسيوس.

+ تشترك الأقانيم الثلاثة في نفس صفات الجوهر الإلهي الواحد وهي ما نسميه بالصفات الجوهرية مثل الأزلية – الأبدية – الخلق – الحكمة – القدرة – المعرفة المطلقة – الحياة لا توجد صفة الا ومشتركة في الثلاثة اقانيم الا ان الاب أصل والابن مولود والروح القدس منبثق.

هكذا مع وجود صفة يتمايز بها كل اقنوم عن الأقنومين الأخريين وهي ما نسميه الصفة القانونية فالأب وحده هو المصدر الابن وحده هو المولود من الآب قبل كل الدهور والروح القدس وحده هو المنبثق من الاب أزلياً.

+ لقد تعلمنا أن الابن خرج من الله الآب وبخروجه هذا قد ولد من الآب إذاً فهو ابن الله ويدعى الله لأجل وحدته مع الآب في الجوهر لذلك هو الله وابن الله وهما واحد فحتى شعاع الشمس عندما يخرج منها يظل متصلاً بها وتظل الشمس في الشعاع لأنه منها فلا يوجد تقسيم في الجوهر فالشعاع هو امتداد للشمس هكذا المسيح هو روح من روح واله من إله والذي خرج من الله الاب هو بأن واحد الله وابن الله والأثنان هم واحد. لذلك نقول الذي به كان كل شيء "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يو ١: ٣).

يقول القديس ايريناؤس: "خالق العالم هو بالحقيقة كلمة الله هذا هو ربنا".

العلامة اثيناغورس يقول: "لقد خلق الكون ووضع تدبير بواسطة كلمة الله".

ثانيا لاهوت المسيح الابن المتجسد:

❖ نؤمن أن المسيح هو الله عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.

وكل اسماء الآب تنسب للابن ايضاً الكلي القدرة العلي رب الكل ملك اسرائيل الكائن وقد أعلنها للناس في ذاته أن "كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي".

رأينا الابن يقول "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: ... وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: ..." اي أنه يعلن أنه هو الله نفسه ويتكلم بسلطانه.

وفي الفداء رأت الخليقة كلها كيف قد أدين الخالق لأجل الإنسان غير المرئي رأوه غير المحدود قد انحصر في الجسد غير المتالم تألم غير المائت مات والسماوي وضع في قبر وهذه أمور تعلن لاهوته ومحبته للبشر ولا تدعي للشك.

لأنه تألم من اجلنا كإنسان كما أشفق علينا كإله. (القديس ايرينأوس).

❖ "هو مات بحسب الجسد من اجل فداء الإنسان ومع ذلك فهو حي الى الابد" (العلامة ترتليان)

في هذا القول يؤكد العلامة ترتليان ان الذين يرفضون الوحيد والصليب ظنً منهم أن هذا لا يليق بعظمة الله هم بعيدون كل البعد عن الفهم والايمان الصحيح فلولا الوحيد والصليب ما كان لنا هذا الخلاص الذي أتمه ربنا يسوع المسيح من أجل محبته لنا واهتمامه بنا.

من هنا يتضح أن ما جاء في ايمان نيقية كان متفقا مع فكر الآباء السابق لهم.

وهنا نعرض التسلسل الزمني:

- قانون الرسل روما القرن الثاني.
- ايريناؤس ليون. ١٨٠م.
- ترتليان. قرطاجنه ٢٠٠م.
- كبريانوس قرطاجنة ٢٥٠م.
- اوريجينوس الإسكندرية ٢٥٠م.
- غريغوريوس قيصرية الجديدة ٢٧٠م.
- يوسابيوس. قيصرية ٣٢٥م.
- مجمع نيقية نيقية ٣٢٥م.

ولإلهنا الْمَجْد الدائم مِنْ الْآنَ وإِلَىَ الْأَبَد أمِين